تلميذ المتوسط ونصوص القراءة المختارة

. السنة الثانية أنموذجا .

أ.عزي مريم

جامعة الجيلالي ليابس

سيدي بلعباس

يتناول المقال الحديث عن النصوص التي إختارتها المنظومة التربوية لتلاميذ المتوسط لاسيما ونحن نعلم أنّ الدولة بإصلاحاتها السارية المفعول اليوم إهتمت بثلاثية رأت أنّها تشكّل الأبعاد الأساسية للعملية التعليمية ،فعلى قدر إهتمام البرنامج الجديد بالمتعلّم و المعلّم على قدر ما يسعى إلى تفعيل دور المؤسسات التعليمية داخل المجتمع من أجل خدمته.

برنامج تسخّر الدولة - لإنجاحه- جميع الطاقات المادية والمعنوية؛ فعملت على تجهيز المؤسسات التعليمية بأحدث التجهيزات والوسائل وأضخم المكتبات ،كما وضع المركز الوطني للوثائق التربوية . في خدمة الأساتذة وعمّال التربية . عددا من المجلات التي من شأنها التوجيه والتوضيح؛ كسلسلة موعدك التربوي، سلسلة قضايا التربية ،مجلة المربي لأنّ المركز على يقين بأنّ " التخطيط لإعداد مناهج تتوافق ومتطلبات العصر لا يكفي ما لم يكن القائم على تنفيذها على دراية كاملة بكل مكوّنات المنهج وقادر على تجسيدها و تطبيقها "[1] وبما أنّ المؤسسة التعليمية تبقى بحاجة إلى من يدعمها و يعزّز دورها تسعى المنظومة التربوية إلى تحقيق تواصل بينها و بين كل ما يتيح لها ذلك .

تدرك المنظومة التربوية أهميّة وسائل الإعلام فهي تعلم أنّ " التعليم يبقى قاصرا إذا ما لم ترافقه تربية غير مباشرة عن طريق وسائط ووسائل الإعلام المختلفة (...) ولهذا فلابد للعمليّة الإعلامية أن تكون متفاعلة إيجابيا مع العملية التربوية وبالعكس"[2] وليكون لوسائل الإعلام الدور الإيجابي . في مسألة التربية والتعليم . على أولياء التلاميذ السهر من أجل إختيار البرامج "التي تعمل على إثراء خبرات الطفل المتعلّم من معلومات ومعارف في جميع مجالات المعرفة (...) والتي تساعد على تنمية المهارات اللازمة للسلوك الإبتكاري وتقوم بتنمية قدرة المتعلّم على الخيال والتفكير وحل المشكلات ،وتزيد خبرة الطفل على التعرّف على المجتمع الذي يعيش فيه"[3] إذا برقابة الأولياء وتوجيههم وحسن الإختيار يمكن أن يكون لوسائل الإعلام الدور الإيجابي والفاعل في إعداد نشئ مثقف واع ومشبّع بالقيم الأخلاقية .

وبما أنّنا في عصر التقدّم والتكنولوجيا علينا إستغلال كل الوسائل المتاحة حتى تتمّ إستفادة التلميذ من كل ما يشاهده ويسمعه ويوظّفه في عمليّة التعليم حتى و إن كان في

مجال تعليمية اللغات؛ فمن يرى أنّ نصوص القراءة المختارة ينبغي لها أن تعبّر عما يعرفه التلميذ حتى تتماشى مع ذهنيته فهو مخطئ، لأنّ النصوص الأدبية هي ضرب من ضروب خيال المبدع ؛ يبحر فيها القارئ و يعمل فكره وخياله لترتسم نصب أعينه صورة عما يقرأ .

كالقصص الشعبية مثلا - التي تتحدث عن الغول- تجد تجاوب الطفل معها رغم أن شخصية الغول لا وجود لها في الواقع ولم يشاهدها الطفل أبدا، لكنه رسم لها صورة في مخيّلته قد تختلف تلك الصورة من طفل لآخر ؛كذلك الأمر بالنسبة لحكايات ألف ليلة وليلة وعروس البحر التي إرتبطت صورتها بمخيّلة شهرزاد ؛ قصص شدّت إنتباه الصغار والكبار فأنعشت خيالهم وأثرت أفكارهم.

فلماذا نحن اليوم نريد لتلامذتنا أن يقرؤوا فقط ما يشاهدونه ويعرفونه ؟ كأن نفرض على طفل الصحراء أن يقرأ النصوص التي تصف الصحراء لا لشيء سوى لأنّه شاهدها وعاش في بيئة صحراوية، لماذا نحاول أن نعزله عن النصوص التي تصف البحر وجمال طبيعة المناطق التلّية ؟

إنّ التلميذ المتواجد بالمناطق الصحراوية حتى وإن لم يرى البحر على الطبيعة فقد رآها في التلفاز من خلال تلك الأشرطة الوثائقية التي تحكي أسرار البحر وطبيعة الكائنات التي تعيش فيه، إضافة إلى تلك الأناشيد التي تعبّر عن تساؤلات الأطفال، وتلك الرحلات والمخيمات الصيفية التي تمكّن التلميذ من معرفة مناطق لم يزرها من قبل ،وتحقّق له التواصل مع تلاميذ من عمره قد يختلفون عنه في الذهنية والسلوك .

في مقابل كل هذا أولت الدولة إهتماما بالغا بكتاب التلميذ عامة وكتاب اللغة العربية خاصة فعملت على إخراجه في أحسن صورة؛ تجعل التلميذ شغوفا بتصفحه ومطالعته، كتاب دعّم بصور وشروح توضّح وتفسّر المادة المدروسة، إضافة إلى عنايتها بإختيار تلك المادة المقدّمة للتلميذ .ونظرا لأهمية هذه الوسيلة في عملية التدريس ينطلق هذا المقال من إشكال لطالما أرّق القائمين على إختيار نصوص القراءة لتلاميذ المتوسط ألا وهو مدى تماشي النصوص المختارة مع ذهنية التلميذ و تكوينه النفسي ؟

لاسيما أنّ القائمين على هذه الإختيارات يكرّرون القول في كل مقدمات كتب اللغة العربية . المقدَّمة لتلاميذ المتوسط . بأنّهم يأملون "أن يجد أبناؤنا التلاميذ في كتبهم ما يلبي طموحهم المعرفي وما يشبع نهمهم في القراءة والمطالعة بما تتوفر عليه من نصوص تعبّر عن واقعهم ومحيطهم ،وعن روح العصر الذي نعيش فيه ،وعن إنشغالات الشباب في عصر التقدّم والتكنولوجيا"[4] فهل إستطاع التلميذ الإستجابة لهاته النصوص والإنسجام معها ؟

لتحقيق هذه الإستجابة عملت اللجنة المكلّفة بإختيار نصوص القراءة لتلاميذ السنة الثانية على أن يكون الكتاب "يندرج ضمن سلسلة (إستكشافية) تطمح إلى إدخال التحسينات الضرورية على تعليم العربية ومن ثمّ تحبيب هذه المادة إلى النشء وتيسير التحصيل بنمطيه اللغوي والمعرفي"[5] ومتتبّع نصوص هذا الكتاب يجد فيه نصوصا تحقّق للتلميذ المعرفة كنص "القمر" ،"الزلزال "ونص "القشرة الأرضية " ،و منها نصوص التوعية كنص "الموت البطيء"،"أنواع المخدرات "، " أسباب تعاطي المخدرات " ومنها النصوص التي تكسب التلميذ الرصيد اللغوي كالنصوص المختارة من كتاب كليلة ودمنة ونص " إختبار العقل " ومنها ما يزخر بالقيم الأخلاقية المربية للتلميذ كنص " من الأساطير العربية "* إلى غيرها من النصوص التي تحقّق للتلميذ المعرفة والتربية وتمكّنه من إكتساب الرصيد اللغوي.

إنّ معرفة مدى إستجابة التلميذ لهذه النصوص يتطلّب الإحتكاك بعيّنة من هؤلاء التلاميذ لأنّ التلميذ هو الوحيد القادر على إعطائنا فكرة حول ما يجول في فكره تجاه النصوص المختارة له، من خلال حديثي مع بعض تلاميذ . متوسطة بن غالم المخفي بدائرة تلاغ . والأسئلة التي طرحتها عليهم، وجدت هناك من التلاميذ من أعجب بالنصوص الوطنية بحجة أنّها تربطه بماضي أجداده ،وهناك من أعجب بالنصوص التثقيفية بحجة أنّها أجابته عن إستفهام كان عالقا برأسه .

أمّا النصوص التي تتحدّث عن القيم الأخلاقية فقد جذبت بعضهم لأنّ فيها من العبر ما يجعلهم يتمنون لو كانوا يتحلون بصفات شخصيات تلك النصوص كصفتي الكرم و الوفاء التي يعبّر عنها نص " من الأساطير العربية " . لتلاميذ السنة الثانية . ؛ وهناك مجموعة من التلاميذ أعجبت بنص " في فروة قط " [6] . رغم أنّه نص خيالي . بحجة أنّ بطل هذه القصة يمثلهم ويعبّر عن حلم لطالما راودهم.

من خلال هذه الاختيارات يمكننا إدراك أنّ لكل تلميذ إختياره وتعليقه على النص الذي أعجبه فشدّ إنتباهه ورسخ في ذهنه ، كما يمكننا إدراك أنّ المنظومة التربوية باختيارها لهاته النصوص إستطاعت أن تلبي حاجات التلاميذ رغم إختلافها، فقدّمت لهم كتابا إستطاع أن يجمع جميع الاختيارات ،فالذي لم يعجبه هذا النص قد يعجبه نصا آخر و هذا دلالة على أنّ أفكار التلاميذ وإختياراتهم تختلف من واحد لآخر .

كما أنّ طريقة تقديم الأستاذ لنصوص القراءة قد تؤدي دورا بارزا في جعل التلاميذ يحبون النصوص المختارة ويقبلون على قراءتها داخل القسم وخارجه ، وبالتالي يكون للأستاذ

دورا في ترسيخ النص في الأذهان ،لاسيما حين ترتبط حصة القراءة بموقف طريف أو حدث مثير وبالتالي يحبه التلميذ ويتمكن من إستنباط الهدف المنشود والغاية المرسومة من النص المختار فكم من نص قُرأ ومرّت سنين على قراءته وما يزال عالقا في الأذهان .

لذا على أساتذة اللغة العربية إدراك المسؤولية الملقاة عليهم والعمل على تقديم نصوص القراءة بشيء من المتعة والتحفيز وعدم التعامل معها على أنها مجرد نصوص ينتهي دورها بمجرد ما تطوى الصفحات وتتم عملية الانتقال إلى نصوص أخرى ،لأن بهذا العمل مهما عملت المنظومة التربوية على حسن إختيار؛ فإنّ الخلل سيبقى قائما والاستجابة لهذه النصوص تبقى ناقصة وبالتالي سيكون التلقي قاصرا فيغيب الهدف عن ذهنية التلميذ

الهوامش:

1- فريق ملحقة المركز الوطني للوثائق التربوية ،أهمية العمليات التحصيلية في التعليم ،سلسلة موعدك التربوي ،ع،23،أفريل 2007، برج بوعرريج(الجزائر)، ص.1.

2- مدخل إلى علوم التربية (تكوين أساتذة التعليم الأساسي) ، ص. 197

3- المرجع نفسه، ص. (196 ،197)

4- كتاب اللغة العربية،السنة الأولى من التعليم المتوسط ،من مقدمة الكتاب .

5- كتاب اللغة العربية،السنة الثانية من التعليم المتوسط،من مقدمة الكتاب.

❖- ينظر نصوص كتاب اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط .

6- يتحدّث النص عن طفل إسمه خالد أثقلته الواجبات المدرسية ؛فطلب من الشيخ أن يحوّله إلى قط ليتخلّص منها ظنّا منه أنّ الحيوانات تعيش حياة رغيدة لا تنغصها الواجبات ،وعند تجريبه حياة القط أدرك معانات هذا الأخير مع الإنسان فقرّر العودة إلى طبيعته مدركا أن الإنسان أكرم خلق الله .ينظر كتاب اللغة العربية السنة الثانية من المتوسط ،ص.145.